فلسفة الدين المسيحي

■ هاني حنّا

عِرْفَان

لَقَدْ وُلِدَتْ فِكْرَةُ هَذَا الكِتَابِ مِنْ رَحِمِ مَسَاقٍ أَكَادِيمِيٍّ بِعُنْوَانِ 'فَلْسَفَة الدِّين'، قَدَّمْتُهُ عَلَى مَدَارِ سِتَّةِ أَعْوَامٍ في كُلِّيَّةِ اللاهُوتِ الإِنْجِيلِيَّةِ في القَاهِرَةِ منذ عام ٢٠١٤. وتَحَوَّلَتْ هَذِهِ الفِكْرَةُ إلى وَاقِعٍ في أَثْنَاءِ إِجَازَتِي البَحْثِيَّةِ في اسْكُتْلَنْدَا في عام ٢٠٢٠. وبِدُونِ إِضَافَةِ أيّ كَلِمَاتٍ أُخْرَى، تَكْشِفُ هَاتَان العِبَارَتَان حَقِيقَةَ أَنَّ هذا الكِتَابَ هو نَتِيجَةُ جُهُودِ الكَثِيرِينَ الَّذِينَ من دُونِهِمْ لَمَا أبصَرَ هَذَا الكِتَابُ النُّورَ.

كَثِيرٌ مِنْ أَفْكَارِ هَذَا الكِتَابِ وصِيَاغَاتِهِ هُوَ نَتِيجَةُ حِوَارَاتٍ حَارَّةٍ مَعَ طُلَّابِ كُلِّيَّةِ اللاّهُوتِ وطَالِبَاتِها. فَقَدْ تَلَقَّيْتُ خِلالَ هَذِهِ الحِوَارَاتِ أَسْئِلَةً صَعْبَةً ونَقْدًا بَانِيًا وتَشْجِيعًا غَالِيًا. وكُلُّ هَذَا آلَ إلى تَطْوِيرِ المَادَّةِ عَبْرَ السَنَوَاتِ. أُقَدِّمُ إلى طُلَّابِ المَاضِي وأَصْدِقَاءِ الحَاضِرِ جَزِيلَ الشُكْرِ، وأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مَادَّةُ الكِتَابِ في شَكْلِهَا الجَدِيدِ مُفِيدَةً لَهُمْ في حَيَاتِهِمْ وخِدْمَتِهِمْ.

مَا كَانَ خُرُوجُ هَذَا الكِتَابِ لِلْنُورِ مُمْكِنًا من دُونِ دَعْمٍ خَاصٍّ وتَفَانٍ خَالِصٍ وتَشْجِيعٍ مُسْتَمِرٍّ مِنْ حُسَام جَرَس ونِسْرِين الصَايِغ وعَزِيز رِزْق الله. فَهُم قَرَؤُوا مَخْطُوطَةَ الكِتَابِ وأَعْطُونِي نَقْدًا تَفْصِيلِيًّا وبَنَّاءً وحَكِيمًا وأَمِينًا وذَكِيًّا. وقَدْ سَاعَدَنِي نَقْدُهُمْ على صِيَاغَةِ الكَثِيرِ مِنْ الأَفْكَارِ وتَفَادِي العَدِيد مِنَ الحُفَرِ الفِكْرِيَّةِ والالْتِبَاسَاتِ التَعْبِيرِيَّةِ والتَحَدِّيَات السِيَاقِيَّة. كَمَا أَتَاحُوا أَنْفُسَهُم لِي لِمُنَاقَشَةِ أيّ فِكْرَةٍ في أيِّ وَقْتٍ على الرّغم من انْشِغَالاتِهِمْ المُتَعَدِّدَةِ وعَمَلِهِمْ في ظِلِّ الظُرُوفِ الصَعْبَةِ الَّتِي سَبَّبَتْهَا جَائِحَةُ كُورُونَا. وشُكْرٌ خَاصٌّ إلى نِسْرِين الصَايِغ الَّتِي قَامَتْ أَيْضًا بِإِعْدَادِ مُلْحَقِ 'المُغَالَطَات المَنْطِقِيَّة'. لَهُمْ عَمِيقُ امْتِنَانِي وتَقْدِيرِي.

أَشْكُرُ جَامِعَةَ إِدِنْبَرَه الَّتِي شَرَّفَتْنِي بِزَمَالَةٍ أَكَادِيمِيَّةٍ مَكَّنَتنِي مِنْ إِتْمَامِ بَحْثِي وكِتَابَتِي. فَبِدُونِ هَذَا الدّعْمِ الأَكَادِيمِيّ، مَا كَانَ مُمْكِنًا إِنْجَازُ العَمَلِ عَلى الكِتَابِ. وشُكْرٌ خَاصٌّ إلى جَاشْوَا رَالْسْتُون الَّذِي يَسَّرَ العَدِيدَ مِنَ التَرْتِيبَاتِ في الجَامِعَةِ.

أُقَدِّمُ شُكْرِي الجَزِيلَ وتَقْدِيرِي العَمِيقَ إلى كَنِيسَةِ اسْكُتْلَنْدَا، وخُصوصًا إلى إِيبَان أَلِكْسَنْدَر وكِينِي رُوجَر. فَقَدْ اسْتَضَافَتْنِي الكَنِيسَةُ أَنَا وعَائِلَتِي على مدى ١١ شَهْرًا في أَثناءِ إِجَازَتِي البَحْثِيَّةِ في إِدِنْبَرَه.

ومن دُونِ هَذِه الضِيَافَةِ الكَرِيمَةِ، مَا كَانَ مُمْكِنًا إتْمَامُ كِتَابَةِ هَذَا الكِتَابِ. لا يُمْكِنُنِي أنْ أوفِيَهُم حَقَّهُمْ مِنَ الشُكْرِ.

وأشْكُرُ أصْدِقَائِي في لانْجْهَام، وخُصوصًا رِيَاض قَسِّيس الَّذِي حَثَّنِي تكْرَارًا على كِتَابَةِ هَذَا الكِتَابِ. وأيْضًا أشْكُرُ أصْدِقَائِي في مُؤسَّسَةِ المَعُونَةِ البْرُوتِسْتَانْتِيَّةِ المُصْلَحَةِ، وخُصوصًا أنْيِيس كْرُوتْسْلِي. كَمَا أشْكُرُ أصْدِقَائِي في سْكولار لِيدَرْز، وخُصوصًا إيقَان هَنْتَر. وأيضًا أشْكُرُ أصْدِقَائِي في أُوقْرْسِيز كَاوْنْسِل، وخُصوصًا مَجْدِي جِنْدِي وسْكُوت كَنِنْجْهَام. كَمَا أوَجِّهُ الشُكْرَ إلى الهَيْئَةِ القِبْطِيَّةِ الإنْجِيلِيَّة للخَدَمَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وعَلَى رَأسِهَا أنْدْرِيَه اسْطَفَانُوس. فَمن دُونِ الدّعْمِ المَعْنَوِيّ والمَادِّيّ الَّذِي تَلَقَّيْتُهُ مِنْ هَؤلاءِ الأصْدِقَاءِ مَا كَانَ مِنَ السّهْلِ السّفَرُ إلى إدِنْبْرَه وكِتَابَةُ هَذَا الكِتَابِ.

كَمَا أشْكُرُ جَمِيعَ أصْدِقَائِي وزُمَلائِي في كُلِّيَّةِ اللاهُوتِ الإنْجِيلِيَّةِ في القَاهِرَةِ، خُصوصًا عَاطِف جِنْدِي ودِيرِن كِينِيدِي وثَرْوَت وَهْبَة. وذَلِكَ لِلْسَمَاحِ لِي بِأخْذِ هَذِهِ الإجَازَةِ البَحْثِيَّةِ. ونَظَرًا لِلْتَوْقِيتِ الحَرِجِ للسّفَرِ في وقت الجَائِحَةِ، أُدركُ جَيِّدًا قَدْرَ التَضْحِيَةِ الَّتِي قَامُوا بِهَا وكَمَّ العَمَلِ الإضَافِيّ الَّذِي تَحَمَّلُوهُ لِكَيْ أنَالَ هَذِهِ الفُرْصَةَ. لا يُمْكِنُ لِكَلِمَاتٍ أو مَشَاعِرَ أنْ تُعَبِّرَ عَنْ امْتِنَانِي وتَقْدِيرِي لَهُمْ.

ولا يَسَعُنِي أيضًا إلَّا أنْ أشْكُرَ زَوْجَتِي لُوسِي وابْنِي يُوسف لأجْلِ مُصَاحَبَتِي في السّفَرِ في وَقْتِ الجَائِحَةِ الصّعْبِ، الأمْرُ الَّذِي حَتَّمَ عَلَيْهِما تَرْكَ حَيَاتِهِما الاجْتِمَاعِيَّةِ في مِصْرَ والمُكُوثَ وقتًا طويلًا في حَجْرٍ صِحِّيٍّ أو إقْفَالٍ إجْبَارِيٍّ لِسَبَبِ الجَائِحَةِ. ومَعَ كُلِّ هَذِهِ الصّعُوبَاتِ، لقَدْ قَدَّمَا لِي دَعْمًا نَفْسِيًّا واجْتِمَاعِيًّا هَائِلًا سَاعَدَنِي عَلَى التَرْكِيزِ والإنْجَازِ. كَمَا أشْكُرُ ابْنَتِي سَلْمَى الَّتِي يملأُ وُجُودُهَا حَيَاتِي بِالفَخْرِ والبَهْجَةِ. شُكْرِي لِعَائِلَتِي لا يُمْكِنُ أنْ تَصِفَهُ كَلِمَاتٌ. وسَأظَلُّ دائِمًا مَدْيُونًا لَهَا.

كَمَا أُقَدِّمُ الشُكْرَ إلى شِيرْلِي فْرِيزَر، وإلى لِيز ومَالْكُوم مَكْجْرِيجُور، وإلى ماري وسْكُوت مَرِي. فَصَدَاقَتُهُم واهْتِمَامُهُم بي وبِعَائِلَتِي في اسْكُتْلَنْدَا كانا سَبَبًا رَئِيسِيًّا في كَسْرِ جُدْرَانِ العُزْلَةِ التي فَرَضَهَا الإقْفَالُ العَامُّ على الجَمِيعِ لِسَبَبِ الجَائِحَةِ.

وأخِيرًا لا آخِرًا، أشْكُرُ فَرِيقَ العَمَلِ في دَارِ مَنْهَلِ الحَيَاةِ وعلى رأسه سَوْسَن تَتُّورِي وساندرا الحاج، الَّذِين صَرَفُوا وَقْتًا كَبِيرًا في المُتَابَعَةِ والإشْرَافِ على عَمَلِيَّةِ الكِتَابَةِ والتَحْرِير في ظُرُوفٍ صِحِّيَّةٍ وسِيَاسِيَّةٍ حَالِكَةٍ يَمُرُّ بِهَا لبْنَانُ. وأُصَلِّي لِلْبْنَان والعَالَمِ، لِلْخُرُوجِ مِنْ تَحْت وَطْأةِ الجَوَائِح البَيُولُوجِيَّةِ والسّيَاسِيَّةِ إلى مُسْتَقْبَلٍ أفْضَل.

لِجَمِيعِ مَنْ شَارَكُوا/شَارَكْنَ في إنْجَازِ هَذَا العَمَلِ، أقَدِّمُ لَهُمْ/لَهُنَّ هَذَا الكِتَابَ بِعِرْفَانٍ عَظِيمٍ.

مُقَدِّمَة

إنَّ الاحْتِيَاجَ إلى دِرَاسَةٍ أكَادِيمِيَّةٍ مُنَظَّمَةٍ في مَجَالِ فَلْسَفَةِ الدِّينِ قَدْ ازْدَادَ في العَالَمِ العَرَبِيّ في العَقْدِ الأخِيرِ. يَظْهَرُ هَذَا الاحْتِيَاجُ في الأسْئِلَةِ المُتَصَاعِدَةِ حَوْلَ صِحَّةِ الاعْتِقَادِ في وُجُودِ إلَهٍ، والمُعْتَقَدَات المُرْتَبِطَة بِهَذَا المُعْتَقَدِ الرَئِيسِيّ. لَمْ يَتَوَقَّع/تَتَوَقَّع الكَثِيرُونَ/الكَثِيرَاتُ مُنْذُ فَتْرَةٍ أنْ يَظْهَرَ سُؤالُ الإلْحَادِ في سِيَاقِ الشَرْقِ الأوْسَطِ الَّذِي تُعْرَفُ شُعُوبُهُ بِتَدَيُّنِهَا. فَفِي المَاضِي القَرِيبِ، كَانَتْ قَاعَاتُ كُلِّيَّاتِ الفَلْسَفَةِ مَكَانَ مُنَاقَشَاتِ أسْئِلَةِ فَلْسَفَةِ الدِّينِ، وكَانَتْ مِحْوَرَ المُنَاقَشَاتِ فِكْرَةٌ ظَهَرَتْ فِي المَاضِي في مَكَانٍ آخَرَ بَعِيدٍ عَنْ واقِعِنَا المَلْمُوس. أمَّا الآنَ فَتَنْتَشِرُ هَذِهِ المُنَاقَشَاتُ بَيْنَ النَاسِ على مُخْتَلِفِ أطْيَافِهِم في مُخْتَلِفِ الأمَاكِنَ. فَنَرَى أنَّ هذه المُنَاقَشَاتِ تَدُورُ في المَنَازِلَ، وقَدْ غَزَتْ وَسَائِلَ التَوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيّ،[1] كَمَا أنَّ تَنَاوُلَهَا في الصُحُفِ صَارَ أمْرًا عَادِيًّا.[2] لِذَا بَدَأ بَعْضُ المُفَكِّرِينَ شَرْقِ الأوْسَطِيِّينَ فِي تَنَاوُلِ قَضِيَّةِ الإلْحَادِ من أجل مُحَاوَلَةِ مُسَاعَدَةِ النَاسِ عَلَى التَفْكِيرِ في الأمْرِ.[3] كَمَا ازْدَادَ في الدّوَائِرِ الكَنَسِيَّةِ سَعْيُ الكَثِيرِين/الكَثِيرَات لِلْوُصُولِ إلى كَيْفِيَّةٍ مَنْطِقِيَّةٍ لِفَهْمِ العَقَائِدِ الأسَاسِيَّة

١ على سَبِيلِ المِثَال، انْظُرْ مَجْمُوعَات فِيسْبُوك التالية: "الدِّين والعَقْل،" "عَصْرُ الإلْحَاد،" "عَالَم الإلْحَاد،" "أمَّة الإلْحَاد،" "ثَوْرَة الإلْحَاد الكُبْرَى،" "الجَهْرُ بالإلْحَادِ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيلًا،" "شَبَكَةُ الإلْحَادِ في العَالَمِ العَرَبِيّ،" "مُلْحِدون ضِدَّ الدِّين،" "جُمْهُورِيَّة المُلْحِدِين،" "العِلْمُ يُكَذِّبُ الدِّينَ،" "ثُورُ الإلْحَادِ،" "دَارُ الإلْحَادِ،" "الإلْحَادُ أسَاسُ الحَيَاةِ."

٢ إكرام لمعي، "مِصْرُ ومَوْجَةُ الإلْحَاد،" جريدة الشّروق، مصر، ١٥ ديسمبر ٢٠١٤؛ نَجَاح الجِبِيلِي، "كِتَاب الثَّقَافَة ومَوْت الإلَه،" جريدة المدى، العراق، ١٥ سبتمبر ٢٠١٩؛ شوقي علام، "الإلْحَاد عَدُوّ الأدْيَان المشترك،" جريدة الدّستور، مصر، ١٠ ديسمبر ٢٠١٩؛ إبراهيم إسحق، "خَطَر الإلْحَاد والتَعَصُّب،" جريدة الوطن، مصر، ٢٤ ديسمبر ٢٠١٩؛ فاطمة خالد، "ماذا تَغَيَّر في الشَخْصِيَّة المِصْرِيَّة مُنْذُ ثورة ٢٥ يناير حتى الآن؟" المصري اليوم، مصر، ١٩ يناير ٢٠٢٠؛ أحْمَد الطَيِّب، "الإلْحَاد خَطَرٌ يَضْرِبُ اسْتِقْرَارَ المُجْتَمَعات الَّتِي تقدّس الأدْيَان،" جريدة الوطن، مصر، ٢٨ يناير ٢٠٢٠؛ ثروت الخرباوي، "الإلْحَاد في بلاد المسلمين،" جريدة الدّستور، مصر، ٢٨ ابريل ٢٠٢٠؛ محمد أبو زهرة، "وزير ثَقَافَة مصري يثير الجدل: أعداد المُلْحِدِين تقدر بالملايين،" جريدة النهار، لبنان، ٧ أيار ٢٠٢٠.

٣ أمير ثروت، **الله والإلْحَاد** (القاهرة: مطبعة سان مارك، ٢٠١٤).

في الإيمَانِ المَسِيحِيّ، فَبَدَأ ظُهُورُ التَنَاوُلِ الأكَادِيمِيّ لِلمَوْضُوعِ بِوَاسِطَة مُفكِّرِين شَرْقِ أوْسَطِيِّينَ قَدَّمُوا تَحْلِيلًا وتَقْيِيمًا للأمْرِ مِنْ مَنْظُورٍ نَفْسِيٍّ.[٤] كَمَا تَمَّتْ تَرْجَمَةُ كُتُبٍ غَرْبِيَّةٍ تَتَنَاوَلُ قَضِيَّةَ الإلْحَادِ في أبْعَادِهَا المُخْتَلِفَةِ.[٥] وتَتَّفِقُ هذه الدّلائِلُ مَنْطِقِيًّا مع إحْصَائِيَّةٍ أُجْرِيَتْ في عَامِ ٢٠١٠ عَنْ الكَنَائِسِ الإنْجِيلِيَّة المَشْيَخِيَّةِ في مِصْرَ. وتَقُولُ هذه الإحْصَائِيَّةُ إنَّ عَدَدَ مُرْتَادِي الكَنَائِس يُمَثِّلُ حَوَالِي ٨,٥٪ مِنْ عَدَدِ الإنْجِيلِيِّين المَشْيَخِيِّين الكُلِّيّ المُتَعَارَف عَلَيْه.[٦] وهُنَاكَ بِالضَرُورَةِ عَوَامِلُ أُخْرَى (اجْتِمَاعِيَّة واقْتِصَادِيَّة وديمُوجْرَافِيَّة، إلخ) وَرَاءَ ضَآلَةِ هَذِه النِّسْبَةِ. لَكِنَّه مِنَ المَنْطِقِيّ أنْ نَقُولَ إنَّ ظَاهِرَةَ الإلْحَادِ تُشَارِكُ بِنَصِيبٍ مُعْتَبَرٍ في أسْبَابِ هَذِهِ الضَآلَةِ. ويُعتَبَرُ الكِتَابُ الحَالِيّ مَدْخَلًا فَلْسَفِيًّا أكَادِيمِيًّا لِمُنَاقَشَةِ قَضِيَّةِ الإلْحَادِ والأسْئِلَةِ الفِكْرِيَّة والوُجُودِيَّة الأكثر أهميَّة المُرْتَبِطَة بها.

تَقْتَرِحُ مَقُولَةٌ شَهِيرَةٌ أنَّ الفَلْسَفَةَ هي تَسَاؤلاتٌ لا يُمْكِنُ الإجابة عنها، بَيْنَما الدِّينُ هُوَ أجْوِبَةٌ لا يُمْكِنُ مُسَاءَلَتُها. إنَّ النِّصْفَ الأخِيرَ مِنْ هَذِهِ المَقُولَةِ تَمَّ تَحَدِّيه، إذْ بَدَأَتْ مُسَاءَلَةُ الدِّينِ في الغَرْبِ مُنْذُ القَرْنِ السّابِعِ عَشَر. وحَدِيثًا بَدَأتْ مُسَاءَلَةُ الدِّينِ في الشَّرْقِ الأوْسَطِ كَمَا ذَكَرْتُ أعْلاه. كَمَا أنَّ النِصْفَ الأوَّلَ مِنَ المَقُولَةِ فيه قَدْرٌ مِنَ المُبَالَغَةِ. فَتَارِيخُ الفَلْسَفَةِ مَلِيءٌ بِإجَابَاتٍ عن أسْئِلَةِ الحَيَاةِ الكُبْرَى، حَتَّى لَوْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الإجَابَاتُ نِهَائِيَّةً أو غَيْرَ قَابِلَةٍ لِلْنَقْدِ. وأحَدُ أهْدَافِ هَذَا الكِتَابِ هُوَ مُنَاقَشَةُ هَذِهِ المَقُولَةِ بِشِقَّيْها، بِهَدَفِ الوُصُولِ إلى صِيَاغَةٍ جَيِّدَةٍ لأسْئِلَةِ الحَيَاةِ الكُبْرَى واقْتِرَاحِ إجَابَاتٍ جَيِّدَةٍ عن هَذِهِ الأسْئِلَةِ. فَفَلْسَفَةُ الدِّينِ تَسْعَى إلى التَفْكِيرِ فَلْسَفِيًّا في الدِّينِ بِتَوْجِيهِ أسْئِلَةٍ مَنْطِقِيَّةٍ وصِيَاغَةِ أجْوِبَةٍ مَعْقُولَةٍ عَنْ بُعْدٍ هَامٍّ في الحَيَاةِ الإنْسَانِيَّةِ، ألا وهُوَ البُعْدُ الدِّينِيُّ. وهَذَا الكِتَابُ مُحَاوَلَةٌ لِصِيَاغَةِ هَذَا الحِوَارِ الفَلْسَفِيّ عَنْ الدِّينِ بِكَيْفِيَّةٍ تُسَاعِدُ القَارِئَ/القَارِئَةَ عَلَى فَهْمِ نَفْسِهِ/نَفْسِهَا وعَالَمِهِ/عَالَمِهَا باتِّسَاقٍ يُسْهِمُ فِي تَحْقِيقِ حَيَاةٍ مُتَّزِنَةٍ.

هَذَا الكِتَابُ لَيْسَ مُوَجَّهًا إلى عُمُومِ النَاسِ. إنَّه مُوَجَّهٌ إلى المُهْتَمِّينَ/المُهْتَمَّات بِشَكْلٍ صَرِيحٍ بالتَفْكِيرِ المُنَظَّمِ بِشَأنِ أسْئِلَةِ الحَيَاةِ الكُبْرَى الَّتِي هي مَوْضُوعُ فَلْسَفَةِ الدِّينِ، وبالتالي لَدَيْهم/لَدَيْهنَّ خَلْفِيَّةٌ أسَاسِيَّةٌ عن الفَلْسَفَةِ أو عِلْمِ اللاهُوتِ. كَمَا أنَّ الكِتَابَ مُوَجَّهٌ إلى المُصَارِعِينَ/المُصَارِعَات مَعَ هَذِهِ الأسْئِلَةِ بِشَكْلٍ شَخْصِيٍّ صَرِيحٍ، ولِذَا قَرَأوا/قَرَأنَ في مَجَالِ فَلْسَفَةِ الدِّينِ قَبْلًا أو هُمْ/هُنَّ في

4 Maher El Daba, *The Christian Atheist: A 21st Century Look at Christian Faith* (Cairo: Dar El Karma El Hakikia, 2016).

٥ جون لينوكس، **العلم ووُجُود الله**، ترجمة ماريانا كتكوت، تحرير سامح فِكْري حنا (القاهرة: CredoLogos، ٢٠٠٧)؛ وليم لين كْريج، **مستعدون للمجاوبة: كيف تقدم إيمانك بعقل ودقة**، ترجمة سامح فِكْري حنا وماجد زاخر صبحي (عمّان، الأردن: أوفير، ٢٠١٠)؛ راڤي زاكارايوس، محرر، **هل يستطيع الإنْسَان أن يحيا من دون الله**، ترجمة بولس رعد (المتن، لبنان: دار منهل الحَيَاة، ٢٠١١)؛ زاكارايوس، محرّر، **من صنع الله؟** ترجمة جوليانا خوري (المتن، لبنان: دار منهل الحَيَاة، ٢٠١١)؛ أليسْتَر ماكْجْراث، **الدفاعيات المجردة: كيف تساعد الباحثين والمتشككين للوُصُولِ إلى الإيمَان**، ترجمة ماريانا كتكوت (القاهرة: RZIM Middle East، ٢٠١٣).

6 Sherif Salah Habib, "Contemporary Situation in the Egyptian Presbyterian Church" (Master of Sacred Theology Pittsburgh Theological Seminary, 2010), 23.

احْتِياجٍ إلى مَدْخَلٍ إرْشَادِيٍّ لِكَيْ يُمْكِنَهُمْ/يُمْكِنَهُنَّ فِعْل ذَلِكَ بِجَدِّيَّةٍ أكْبَرَ. والكِتَابُ مُوَجَّهٌ أيْضًا إلى المُتَخَصِّصِينَ/المُتَخَصِّصَات الذين/اللاتِي يُسَاعِدُون/تُسَاعِدْنَ أنَاسًا في صِرَاعِهِمْ/صِرَاعِهِنَّ مَعَ هَذِهِ الأسْئِلَةِ بِشَكْلٍ صَرِيحٍ. وعَلَى قِمَّةِ هذه الفِئَاتِ الثَّلاث يَأتِي السُّعَاةُ إلى تَطْوِيرِ المُجْتَمَعِ لِمُسْتَقْبَلٍ أفْضَلَ بِمُسَاعَدَةِ مَبَادِئ دِينِيَّةٍ مَنطقيَّةٍ، والسُّعَاةُ إلى صِيَاغَةِ هَيْكَلٍ فِكْرِيٍّ مُتَمَاسِكٍ يُعْطِيهُمْ/يُعْطِيهُنَّ رَجَاءً ويَكُونُ لَهُمْ/لَهُنَّ بَوْصَلَةً للاتِّزَانِ الفِكْرِيِّ، والمُثَقَّفُون/المُثَقَّفَاتُ البَاحِثُون/البَاحِثَاتُ عنْ مَعْنًى للدِّين وَسْطَ الأصْوَاتِ النَقْدِيَّةِ المُتَعَالِيَةِ الَّتِي تُهَدِّدُ قِيمَةَ الإيمَانِ في مُجْتَمَعَاتٍ مُلْتَبِسَةٍ ثَقَافِيًّا بَيْنَ إرْثٍ قَبْل حَدَاثِيٍّ وسَعْيٍ حَدَاثِيٍّ ومُتَسَارِعَةٍ عَمَلِيًّا نَحْوَ العُنْفِ والمَادِّيَّةِ واللامَعْنَى، وأخِيرًا ولَيْسَ آخِرًا قَادَةُ الكَنِيسَةِ وطُلَّابُ/طَالِبَاتُ كُلِّيَّاتِ اللاهُوتِ المَدْعُوُّونَ/المَدْعُوَّاتُ إلى مُسَاعَدَةِ الفِئَاتِ السّابِقَةِ والمُشَارَكَة فِي تَطْوِيرِ المُجْتَمَعِ.

هذا الكِتَابُ هو تَحْلِيلٌ ومُنَاقَشَةٌ لِمَوْضُوعَاتٍ أسَاسِيَّةٍ في فَلْسَفَةِ الدِّينِ. وذَلِكَ بالتَرْكِيزِ عَلَى هَيْكَلِ هَذِهِ المَوْضُوعَاتِ الفِكْرِيّ، في ضُوءِ مَصَادِرَ فَلْسَفِيَّةٍ مُلائِمَةٍ. والكِتَابُ يُرَكِّزُ فَلْسَفِيًّا عَلَى الدِّيَانَةِ المَسِيحِيَّةِ بِشَكْلٍ أسَاسِيٍّ. وهَذَا يَظْهَرُ في تَنَاوُلِ بَعْضِ المَوْضُوعَاتِ غَيْرِ المُتَنَاوَلَةِ اعْتِيَادِيًّا في كُتُبِ فَلْسَفَةِ الدِّينِ، مِثْلَ مَوْضُوعَي الثَّالُوثِ والتَجَسُّدِ (انْظُرْ فَصْل ١٠). كَمَا يَظْهَرُ الطَابِعُ المَسِيحِيُّ لِتَنَاوُلِ مَوْضُوعِ هَذا الكِتَابِ عِنْدَ مُنَاقَشَةِ طَبِيعَةِ اللهِ في فَصْل ٦. وتَرْكِيزُ الكِتَابِ عَلَى المَسِيحِيَّةِ لَهُ سَبَبَان. السَّبَبُ الأوَّلُ هو مَحْدُودِيَّةُ مِسَاحَةِ الكِتابِ المُتَاحَةِ، هَذَا بِالإضَافَةِ إلى الوَعْيِ بِاسْتِحَالَةِ تَنَاوُلِ جَمِيعِ الأدْيَانِ في كِتَابٍ وَاحِدٍ. والسّبَبُ الثَّانِي هو أنَّ التُّرَاثَ المَسِيحِيَّ وَاجَهَ أكْبَرَ نَقْدٍ فِكْرِيٍّ عَبْرَ التَّارِيخِ وتَفَاعَلَ مَعَ هَذَا النَقْدِ. وحَيْثُ إنَّ التُّرَاثَ المَسِيحِيَّ لَهُ حَظُّ الأسَدِ في المَوْضُوعَاتِ المُتَنَاوَلَةِ في تَارِيخ فَلْسَفَةِ الدِّينِ، فمِنَ المَنْطِقِيّ تَنَاوُلُ مَوْضُوع فَلْسَفَةِ الدِّينِ بِمَدْخَلٍ مَسِيحِيٍّ.

ومِنَ الهامّ جدًّا أنْ نُنَبِّرَ مِنَ البِدَايَةِ عَلَى بَعْضِ النِقَاطِ الَّتِي تُوَضِّحُ طَبِيعَةَ هَذَا الكِتَابِ. إنَّ مَوْضُوعَ هَذَا الكِتَابِ هُوَ 'فَلْسَفَةُ الدِّين'. وهَذَا يَعْنِي أنَّ طَبِيعَةَ المُنَاقَشَاتِ في هَذَا الكِتَابِ هي فَلْسَفِيَّةٌ في المَقَامِ الأوَّلِ، لا تَارِيخِيَّة ولا عَقِيدِيَّة ولا عِلْمِيَّة ولا اجْتِمَاعِيَّة ولا سَيْكُولُوجِيَّة. وهَكَذَا فَإنَّ أيَّ تَقْيِيمٍ أسَاسُهُ تَارِيخِيٌّ أو عَقِيدِيٌّ أو عِلْمِيٌّ أو اجْتِمَاعِيٌّ أو سَيْكُولُوجِيٌّ لِهَذَا الكِتَابِ سَيَكُونُ في غَيْرِ مَحَلِّهِ، إذْ سَيَكُونُ قَدْ أخْطَأ في مَعْرِفَةِ طَبِيعَةِ الكِتَاب وهَدَفِهِ. فَعَلى سَبِيلِ المثالِ، عِلْمُ اللاهُوتِ العَقِيدِيّ غَيْرُ مَنُوطٍ بِمُنَاقَشَةِ سُؤالِ وُجُودِ الله إذْ يَعْتَبِرُه أمْرًا مُسَلَّمًا بِهِ. لَكِنَّ هَذَا السُّؤالَ أسَاسِيٌّ في حَقْلِ 'فَلْسَفَة الدِّين،' وهو السُّؤالُ الأسَاسِيُّ في هَذَا الكِتَابِ. وهَذَا لا يَعْنِي أنَّ المُؤَلِّفَ لا يَهْتَمُّ بِتِلْكَ الأبْعَادِ الأسَاسِيَّةِ لِلخِبْرَةِ الإنْسَانِيَّةِ، إذْ لها أيضًا تَدَاخُلاتُها مع حَقْلِ فَلْسَفَةِ الدِّين. المَقصودُ هُنَا هو أنَّ هَذَا الكِتَابَ يَنْطَلِقُ مِنْ قَوَاعِدَ فَلْسَفِيَّةٍ ويَتَعَاطَى بِشَكْلٍ أسَاسِيٍّ مَعَ التُّرَاثِ الفَلْسَفِيّ عَنِ الدِّينِ. وحَتَّى لَوْ تَمَّ التَعَرُّضُ لِبَعْضِ الأبْعَادِ المَعْرِفِيَّةِ الأُخْرَى في الكِتَابِ، سَيَتِمُّ ذَلِكَ في إطَارٍ فَلْسَفِيٍّ يَرتَبِطُ بِهَدَفِ الكِتَابِ وبِقَدْرٍ يَتَنَاسَبُ مع مِسَاحَتِهِ المَحْدُودَةِ، وبِكَيْفِيَّةٍ تَخْدُمُ حُجَّةَ الكِتَابِ الأسَاسِيَّةَ أو المَوْضُوعَ

المُتَنَاوَلَ. وحَيْثُ إنَّ التَنَاوُلَ الفَلْسَفِيَّ يُخَاطِبُ قَاعِدَةً أوْسَع مِنَ البَشَرِ الذين لَهُمْ انْتِمَاءَاتٌ مُتَبَايِنَةٌ فِكْرِيًّا أو دِينِيًّا، سَأسْتَخْدمُ أحْيَانًا لُغَةَ الفَلْسَفَةِ المُحَايِدَةَ. فَمَثَلًا سَأسْتَخدِمُ أحْيَانًا تَعْبِيرَ 'الوَاقِع القَصِيّ' للإشَارَةِ إلى اللهِ.

يَدُورُ فَصْلُ ١ حَوْلَ تَعْرِيفِ المَقْصُودِ بِحَقْلِ 'فَلْسَفَة الدِّين'. وذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ وَصْفِ عَلاقَةِ هَذَا الحَقْلِ مَعَ الحُقُولِ المَعْرِفِيَّةِ الأكثر أهميَّة المُتَدَاخِلَةِ مَعَهُ، ألا وهي 'الفَلْسَفَةُ' و'الدِّين' و'اللاهُوت'. سَيَتِمُّ عَرْضُ المَوْضُوعَات الأسَاسِيَّة في حَقْلِ الفَلْسَفَةِ. وسَيُقَدَّمُ الدِّينُ باعْتِبَارِه بُعْدَ العُمْقِ في الحَيَاةِ الإنْسَانِيَّةِ وباعْتِبَارِهِ عَلاقَةَ الإنْسَانِ مَعَ اللهِ والبَشَرِ. كَمَا سَتُعْرَضُ المَفَاهِيمُ المُخْتَلِفَةُ عَنْ عَلاقَةِ اللهِ بالعَالَمِ، بِكَيْفِيَّةٍ تُمَهِّدُ الطَرِيقَ لِلأفْكَارِ الفَلْسَفِيَّةِ والمُعْتَقَدَاتِ المَسِيحِيَّةِ الَّتِي سَيَتِمُّ تَنَاوُلُهَا فِي مَا بَعْد. وسَيَتِمُّ تَقْدِيمُ عَرْضٍ مُخْتَصَرٍ عَنْ أسْبَابِ الإلْحَادِ. كَمَا سَنُنَاقِشُ عَلاقَةَ الدِّينِ بالحَضَارَةِ، وعَلاقَةَ الفَلْسَفَةِ بِعِلْمِ اللاهُوتِ، ومَعْنَى التَفْكِيرِ الفَلْسَفِيّ في الدِّينِ ومُفرَدَاته. كَمَا يَتَضَمَّنُ الفَصْلُ تَحْدِيدَ تَوَجُّهِ الكِتَابِ العَقْلانِيّ الوَاقِعِيّ. ويُعْتَبَرُ هذا الفَصْلُ خَلْفِيَّةً عَامَّةً لِبَاقِي فُصُولِ الكِتَابِ.

في فَصْلِ ٢، سَيَتِمُّ تَقْدِيمُ مَوَاقِفَ أسَاسِيَّةٍ لِفَهْمِ العَلاقَةِ بَيْنَ العَقْلِ والإيمَانِ لِلْتَنْبِيرِ عَلَى أهَمِّيَّةِ وإمْكَانِيَّةِ فَهْمِ هَذِهِ العَلاقَةِ بِكَيْفِيَّةٍ تَتَفَادَى الفَهْمَ الصِدَامِيَّ لِهَذِهِ العَلاقَةِ. وسَيُقْتَرَحُ مَفْهُومُ 'العَقْلانِيَّة الكُلِّيَّة' الَّذِي يُعَبِّرُ عَنْ فَهْمٍ تَصَالُحِيٍّ لِعَلاقَةِ العَقْلِ مع الإيمَانِ، مع طَرْحِ دِينَامِيكِيَّتَيْن لِلْعَقْلانِيَّةِ الكُلِّيَّةِ لاسْتِخْدَامِهِمَا في تَقْيِيمِ المُعْتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةِ. ولِعَمَلِ ذَلِكَ، سَنَتَنَاوَلُ تَطَوُّرَ مَفْهُومِ 'العَقْل،' خُصوصًا ذَاكَ الذي نَتَجَ عَنْ عَصْرِ التَنْوِيرِ. وذَلِكَ بِهَدَفِ الوُصُول إلى مَفْهُومٍ كُلِّيٍّ لِلْعَقْلِ. شَكْلٌ آخَرٌ لِمُنَاقَشَةِ مَوْضُوعِ الفَصْلِ الثاني هو مُنَاقَشَةُ السُّؤالِ التَالِي: هَلْ نَحْتَاجُ إلى أسَاسٍ فَلْسَفِيٍّ للإيمَانِ الإلُوهَانِيّ؟ التَوَجُّهُ الأسَاسِيُّ في هَذَا الفَصْلِ هو إقْرَارُ إمْكَانِيَّةِ تَقْيِيمِ المُعْتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةِ عَقْلانِيًّا، ولَكِنْ مَعَ الابْتِعَادِ عَنْ مَفْهُومِ البُرْهَانِيَّةِ الضَيِّقِ الَّذِي يَتَعَامَلُ مَعَ المُعْتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةِ وكَأَنَّهَا مُعَادَلاتٌ رِيَاضِيَّاتِيَّةٌ أو تَجَارِبُ مَعْمَلِيَّةٌ. وفي نِهَايَةِ الفَصْلِ، سَيَتِمُّ تَقْدِيمُ اقْتِرَاحاتٍ عَمَلِيَّةٍ لِمُمَارَسَةِ هَذَا التَصَالُحِ العَقْلانِيّ–الإيمَانِيّ في المُجْتَمَعِ.

في الفَصْلَيْنِ ٣ و ٤، سَتُنَاقَشُ الحُجَجُ الكَلاسِيكِيَّةُ والحَدِيثَةُ بِشَأنِ مَوْضُوعِ وُجُودِ اللهِ. سَيَتَنَاوَلُ فَصْلُ ٣ الحُجَجَ الكَوْنِيَّةَ والغَائِيَّةَ والأُنْطُولُوجِيَّةَ. أمَّا فَصْلُ ٤، فَسَيَتَنَاوَلُ الحُجَّةَ الأخْلاقِيَّةَ، والحُجَّةَ مِنَ الوَعْي، والحُجَّةَ المَعْرِفِيَّةَ. وسَنُناقِشُ في هَذَيْنِ الفَصْلَيْن القِيمَةَ الفِكْرِيَّةَ لِهَذِهِ الحُجَجِ في ضَوءِ المَفْهُومِ الإلُوهَانِيّ في الفَلْسَفَةِ والدِّين. والهَدَفُ هُنَا هو تَوْضِيحُ أنَّ هَذِهِ الحُجَجَ تُكَوِّنُ مَعًا دَلِيلًا شَبَكِيًّا تَرَاكُمِيًّا قويًّا عَلَى وُجودِ إلَهٍ شَخْصَانِيٍّ كَأفْضَلِ تَفْسِيرٍ لِوُجُودِ العَالَمِ والإنْسَانِ.

يَتَنَاوَلُ فَصْلُ ٥ مَوْضُوعَ الخِبْرَةِ الدِّينِيَّة. وذلك مِنْ خِلالِ مُنَاقَشَةِ الصّعُوبَاتِ الفِكْرِيَّةِ المُرْتَبِطَةِ بِهَذَا المَوْضُوعِ، والأنْوَاعِ المُخْتَلِفَةِ لِلْخِبْرَةِ الدِّينِيَّةِ، والمَلامِحَ الأسَاسِيَّةِ لها. وسَنُنَاقِشُ طَبِيعَةَ الخِبْرَةِ الدِّينِيَّةِ لِتَوْضِيحِ إمْكَانِيَّة صِيَاغَتِهَا في مَفَاهِيم. وسَنَتَنَاوَلُ التَفْسِيرَاتِ المُخْتَلِفَةَ لِلخِبْرَةِ الدِّينِيَّةِ، والمَعَايِير

الَّتِي يُمْكِنُ اسْتِخْدَامُهَا لِقِيَاسِ حَقِيقِيَّةِ الخِبْرَةِ الدِّينِيَّةِ. وهَدَفُ الفَصْل هو تَوْضِيحُ مَنْطِقِيَّةِ الاعْتِقَادِ في وُجُودِ إِلَهٍ انْطِلاقًا مِنَ الخِبْرَةِ الدِّينِيَّةِ.

يَتَنَاوَل فَصْلُ ٦ مَوْضُوعَ كَمَال الطَبِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ. وسَنُنَاقِشُ السُّؤالَ التَالِي: ما هي الإِلُوهَةُ؟ ما هي مَلامِحُ أو صِفَاتُ ذَاكَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أنْ يُعْبَدَ؟ وسَنَتَعَرَّضُ لِصِفَةِ الوُجُودِ الذَاتِيّ الإِلَهِيّ، والكَمَالِ الإِلَهِيّ بِالنِسْبَةِ إلى المَعْرِفَةِ والصَلاحِ والقُدْرَةِ والزَمَنِ والشَخْصَانِيَّة. وذَلِكَ مِنْ خِلالِ مُنَاقَشَةِ التَمَاسُكِ الفِكْرِيّ لِهَذِهِ الكَمَالاتِ في الإِطَارَيْن الكْلاسِيكِيّ والسَيْرُورِيّ. وبَعْدَ تَقْيِيمِهِمَا، سَيَتِمُّ اقْتِرَاحُ فَهْمٍ دِينَامِيكِيٍّ لِكَمَالِ طَبِيعَةِ الله، بِحَيْثُ يُحَقِّقُ تَنَاغُمًا أكْبَر بَيْنَ آخَرِيَّةِ اللهِ ومُحَايَثَتِهِ. ويُمَهِّدُ هذا الاقْتِرَاحُ لِتَنَاوُلِنَا لِعَقِيدَةِ الثَالُوثِ في فَصْلِ ١٠. ويُمَثِّلُ فَصْلُ ٦ مَرْجِعِيَّةً للفُصُولِ التَالِيَةِ لَهُ.

يَتَنَاوَلُ فَصْلُ ٧ سُؤالَ وُجُودِ الله في ضَوءِ وُجُودِ شَرٍّ في العَالَمِ. سَتَتِمُّ مُنَاقشةُ قَضِيَّةِ الشَرِّ بأبْعَادِهَا الأساسِيَّةِ الثَلاثَةِ، المَنْطِقِيّ والاحْتِمَالاتِيّ والوُجُودِيّ. وسَتُطْرَحُ حُجَّةٌ تُوَضِّحُ مَنْطِقِيَّةَ تَلازُمِ إمْكَانِيَّةِ الشَرِّ الأخْلاقِيّ وحُرِّيَّة الإنْسَانِ. كَمَا سَيَتِمُّ تَنَاوُلُ الثيُودِيسْيات الأساسِيَّةِ في تَارِيخِ فَلْسَفَةِ الدِّينِ، وتقديمُ مُقْتَرَحٍ جَدِيدٍ لثيُودِيسْيَا تُوَضِّحُ مَنْطِقِيَّةَ الاعْتِقَادِ في وُجُودِ إِلَهٍ كَامِلٍ على الرَغْمِ مِنْ وُجُودِ الشَرِّ. ومَضْمُونُ هذا المُقْتَرَحِ هو أنَّهُ 'لا يُوجَدُ عَالَمٌ مُمْكِنٌ أفْضَلُ مِنَ العَالَمِ الفِعْلِيّ' هو اعتقادٌ مَنْطِقِيٌّ.

يُنَاقِشُ فَصْلُ ٨ مَفْهُومَ المُعْجِزَةِ ومَا إذا كَانَ هُنَاكَ أسَاسٌ مَنْطِقِيٌّ للتَفْكِيرِ في إمْكَانِيَّةِ تَفَاعُلٍ حَقِيقِيٍّ لله مَعَ العَالَمِ. وذلك بِتَنَاوُلِ تَعْرِيف مَفْهُومِ المُعْجِزَةِ بِحَسَبِ التُرَاثِ الفَلْسَفِيّ الحَدِيثِ مُمَثَّلًا في دِيفِيد هْيُوم الَّذِي يُنْكِرُ المُعْجِزَةَ بِاعْتِبَارِهَا كَسْرًا لِنَوَامِيس الطَبِيعَةِ. سَيَتِمُّ تَوْضِيحُ ضَعْفِ تَمَاسُكِ هَذِهِ الفِكْرَةِ، مَعَ تَقْدِيمِ مَفْهُومٍ أرْحَب لِلْمُعْجِزَةِ. وسَنَنْتَهِي بِصِيَاغَةِ تَعْرِيفٍ عَلائِقِيٍّ لِمَفْهُومِ المُعْجِزَةِ، في ضُوءِ فَهْمٍ دِينَامِيكِيٍّ لِعَلاقَةِ اللهِ بالعَالَمِ وبِكَيْفِيَّةٍ تُتَبِّرُ عَلى مَسؤولِيَّةِ الإنْسَانِ. هذا التعريفُ العَلائقيُّ يَتفادَى التَحَدِّيات المُتَضَمَّنَة في نَقْد هْيُوم لمفهوم المعجزة.

يَتَنَاوَلُ فَصْلُ ٩ مَوْضُوعَ الحَيَاة بَعْدَ المَوْتِ. وأهَمِّيَّةُ هَذَا المَوْضُوعِ تَظْهَرُ بِوُضُوحٍ في رَغْبَةِ البَشَرِ في البَقَاءِ، التي تَمْتَدُّ جُذُورُهَا إلى ظُهُورِ البَشَرِيَّةِ. سَوْفَ نُنَاقِشُ المَفَاهِيمَ المُخْتَلِفَةَ لِلحَيَاةِ بَعْدَ المَوْتِ، وذلك في ارْتِبَاطٍ مع المَفَاهِيم المُخْتَلِفَةِ عَنْ الوُجُودِ الأبَدِيّ. وسَنُرَكِّزُ على عَلاقَةِ هذه المَفَاهِيم بالتُرَاثِ المَسِيحِيّ. وفي هذا الإطَارِ، سَنَطْرَحُ حُجَجًا قَبْلِيَّةً وأُخْرَى بَعْدِيَّةً. وهَذِهِ الحُجَجُ تُظْهِرُ مَنْطِقِيَّةَ الاعْتِقَادِ في وُجُودِ حَيَاةٍ بَعْدَ المَوْتِ. كَمَا سَنُنَاقِشُ مَفَاهِيمَ أسَاسِيَّةً عَنْ الهُوِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ في التُرَاثِ الفَلْسَفِيّ. وتَهْدُفُ المُنَاقَشَةُ لِلوُصُولِ إلى صِيَاغَةٍ دِينَامِيكِيَّةٍ/عَلائِقِيَّةٍ للذَاتِ الإنْسَانِيَّةِ، بِحَيْثُ تَشْهَدُ عَنْ مَنْطِقِيَّةِ الاعْتِقَادِ في حَيَاةٍ شَخْصَانِيَّةٍ بَعْدَ المَوْتِ وبِكَيْفِيَّةٍ تَتَوَافَقُ مَعَ المَفْهُومِ الدِّينَامِيكِيّ/العَلائِقِيّ لِلْطَبِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ.

أمَّا فَصْلُ ١٠، فَيَتَنَاوَلُ مَوْضُوعَ الثَّالُوثِ بِهَدَفِ إظْهَارِ مَنْطِقِيَّتِهِ في ضُوءِ الاعْتِقَادِ بِوُجُودِ إلَهٍ عَلائِقِيٍّ كَامِلٍ. ولِتَحْقِيقِ ذَلِكَ، سَنُنَاقِشُ الأَسَاسَ الدِّينِيَّ للاعْتِقَادِ في أنَّ اللهَ الواحدَ مُثَلَّثُ الأقَانِيمِ. ثُمَّ سَنَتَنَاوَلُ مَنْطِقِيَّةَ النِقَاطِ الأَسَاسِيَّةِ الَّتِي تَدْعَمُ هَذَا الاعْتِقَادَ. وهذه النِقَاطُ هي عَقِيدَةُ التَجَسُّدِ الَّتي تُشِيرُ إلى مُحَايَثَةِ اللهِ في التَارِيخ، وعَقِيدَةُ القِيَامَةِ الَّتِي تُعْلِنُ إلُوهَةَ المسيح والرُّوحِ القدس.

وفي خَاتِمَةِ الكِتَابِ، سَيَتِمُّ تَقْدِيمُ مُخْتَصَرٍ لِحُجَّةِ الكِتَابِ عَنْ طَرِيقِ رَسْمِ مَلامِحِ العَلاقَةِ العُضْوِيَّةِ بَيْنَ فُصُولِ الكِتَابِ. وفي ضُوءِ حُجَّةِ الكِتَابِ، سَأَقْتَرِحُ بَعْضَ الأفْكَارِ التِي يُمْكِنُ أنْ تُسَاعِدَ البَعْضَ عَلَى التَفْكِيرِ بِشَأنِ الاعْتِقَادِ في وُجُودِ اللهِ والتَمَتُّعِ بِالعَلاقَةِ مَعَهُ كَالتَجَاوُبِ الإنْسَانِيّ الأكْثَر مَنْطِقِيَّةً.

تَتَنَاوَلُ فُصُولُ هَذَا الكِتَابِ مَوْضُوعَاتٍ مُخْتَلِفَةً يُمْكِنُ قِرَاءَتُهَا بِانْفِصَالٍ. لَكِنَّ هَذِهِ المَوْضُوعَات تَدُورُ حَوْلَ أسْئِلَةٍ مِحْوَرِيَّةٍ في حَيَاةِ الإنْسَانِ. ونَظَرًا لأنَّ حَيَاةَ الإنْسَانِ وحدَةٌ تَارِيخِيَّةٌ مُتَشَابِكَةٌ، هُنَاكَ عَلاقَاتٌ مَنْطِقِيَّةٌ بَيْنَ هَذِه الأسْئِلَةِ وبَعْضِهَا مع بَعْضٍ. وبالتالي هُنَاكَ طَابِعٌ مَنْظُومِيٌّ للمَوْضُوعَاتِ الفَلْسَفِيَّةِ المتَنَاوَلَةِ في الكِتَابِ، الأمْرُ الَّذِي يَجِبُ أنْ يُسَاعِدَنَا على اخْتِيَارِ الاسْتْرَاتِيجِيَّةِ المُنَاسِبَةِ لِقِرَاءَةِ الكِتَابِ. إنَّ أفْضَلَ اسْتْرَاتِيجِيَّة لِقِرَاءَةِ الكِتَابِ هي قِرَاءَتُهُ بالتَرْتِيبِ كَوحْدَةٍ واحِدَةٍ تَتَمَحْوَرُ حَوْلَ حُجَّةٍ أو فِكْرَةٍ أسَاسِيَّةٍ هي كَالتَالِي: 'إنَّ الاعْتِقَادَ في وُجُودِ إلَهٍ عَلائِقِيٍّ هو اعْتِقَادٌ مَنْطِقِيٌّ كأفْضَلِ تَفْسِيرٍ لِلْوُجُود. والمُعْتَقَدَاتُ المَسِيحِيَّةُ المُرْتَبِطَةُ بِهَذَا الاعْتِقَادِ الأسَاسِيّ هي مُعْتَقَدَاتٌ مَنْطِقِيَّةٌ'. وهَذِه الاسْتْرَاتِيجِيَّةُ هي الَّتِي أنْصَحُ بِهَا عِنْدَ قِرَاءَةِ الكِتَابِ. ولَكِنْ في حَالَةِ تَعَذُّرِ اتِّبَاعِهَا، أنْصَحُ بِعَمَلِ التالي: (١) قِرَاءَة المُقَدِّمَةِ والخَاتِمَةِ في البداية، وذَلِكَ للتَعَرُّفِ على طَبِيعَةِ الكِتَابِ وهَيْكَلِهِ الفِكْرِيّ العَامّ واسْتِنْتَاجَاتِهِ الأسَاسِيَّةِ، الأمْرُ الَّذِي سَيَضَعُ الفَصْلَ المَقْرُوءَ فِي سِيَاقِهِ السَّلِيمِ؛ (٢) وَضْع فِكْرَةِ الكِتَابِ المِحْوَرِيَّةِ في الاعْتِبَارِ دَائِمًا؛ (٣) الانْتِبَاه في أثْنَاء قِرَاءَةِ أيِّ فَصْلٍ إلى الحَوَاشِي والإسْنَادَاتِ التَرَافُقِيَّةِ الَّتِي تُشِيرُ إلى مَرْجِعِيَّاتِ بَعْضِ أفْكَارِ الفَصْلِ التي تَمَّ تَنَاوُلُهَا واتِّخَاذُ قَرَارٍ بِشَأنِهَا في فُصُولٍ سَابِقَةٍ ولا مَجَالَ لإعَادَةِ مُنَاقَشَتِهَا، ويُنْصَحُ بِقِرَاءَةِ مُحْتَوَى هَذِهِ المَرْجِعِيَّاتِ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ القِرَاءَة. أخْذُ هذه النِّقَاطِ الثلاث في الاعْتِبَارِ سَيُسَاعِدُ القَارِئَ/القَارِئَةَ على فَهْمِ أفْضَلِ لِمُحْتَوَى الكِتَابِ، وبالتالي الوُصُول لأفْضَلِ اسْتِفَادَةٍ مُمْكِنَةٍ. كَمَا سَيُسَاعِدُ القَارِئَ/القَارِئَةَ لِكَيْ لا يَضِلَّ/تَضِلَّ الطَرِيقَ في أثْنَاءِ القِرَاءَةِ أو يَقْفِزَ/تَقْفِزَ إلى اسْتِنْتَاجَاتٍ لا يُؤَيِّدُهَا المُؤَلِّفُ.

مَعَ أنَّ هَذَا الكِتَابَ يُرَكِّزُ عَلى الدِّيَانَةِ المَسِيحِيَّةِ في تَنَاوُلِهِ لِمَوْضُوعِ 'فَلْسِفَة الدِّين'، هُوَ يَتَضَمَّنُ إشَارَات غَيْر مُنْتَظِمَة لِبَعْضِ الأدْيَانِ الأُخْرَى بِهَدَفِ تَوْضِيحِ نِقَاطٍ مُحَدَّدَةٍ خَاصَّةٍ بِحُجَّةِ الكِتَابِ. ولِذَا كَانَ مِنَ الهامّ أنْ نَذْكُرَ بِاخْتِصَارٍ المَلامِحَ العَامَّةَ الأسَاسِيَّةَ لأدْيَانِ العَالَمِ. والمُلْحَقُ الأوَّلُ في نِهَايَةِ الكِتَابِ يَتَضَمَّنُ نَبْذَةً عَنْ أدْيَانِ العَالَمِ الأكْثَر انْتِشَارًا اليَوْمَ. ونَظَرًا لأنَّ الطَبِيعَةَ الفَلْسَفِيَّةَ لِلْكِتَابِ تَتَطَلَّبُ تَحْلِيلَ الأفْكَارِ مَنْطِقِيًّا، هذا يَتَطَلَّبُ التَنْبِيرَ على التَمَاسُكِ الفِكْرِيّ لِلْعِبَارَاتِ المُقَيَّمَةِ والطُرُوحَاتِ المُقْتَرَحَةِ. والمُلْحَقُ الثَّاني في نِهَايَةِ الكِتَابِ يَتَضَمَّنُ قَائِمَةً بِالمُغَالَطَاتِ المَنْطِقِيَّةِ غَيْرِ الصُورِيَّةِ الَّتِي

سَيُشَارُ إِلَيْها عَبْرَ فُصُولِ الكِتَابِ. ولِتَسْهِيلِ رحلةِ القراءة عَبْر الكِتَابِ، فَقَدْ تَمَّتْ إضافةُ قاموسٍ للمُصْطَلَحَات الفَلسَفِيَّةِ في المُلْحَقِ الثالث في نهاية الكِتَاب. والقاموسُ هامٌّ كأداةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ للوصول إلى تعريفٍ مُرَكَّزٍ لِمُصْطَلَحات أسَاسِيَّة في الكِتَابِ. لَكِنَّهُ أيضًا هامٌّ لِتَوْحِيد مَعَانِي مَفَاهِيمَ مُفْتَاحِيَّةٍ في الكِتَابِ، وخُصوصًا أنَّ هُناكَ بَعْضَ المُصْطَلَحَات غَيْر المُعْتَادَةِ والَّتي مِنْهَا ما يَحْمِلُ مَعَانِي مُغَايِرَةً جُزْئِيًّا عن مَعَانِيها في كُتُبٍ أُخْرَى.

جَمِيعُ الاقْتباسات المُتَرْجَمَة في الكِتاب تَمَّتْ تَرْجَمَتُها بمَعْرِفَةِ المُؤَلِّفِ ما لَمْ يُذكَر خِلاف ذلك. وجميعُ الاقتباسات مِنَ الكتابِ المُقدَّس هي مِنْ تَرْجَمَةِ البُسْتَاني وڤان دَايْك العربية ما لَمْ يُذْكَر خِلاف ذلك.

إنَّ هَذَا الكِتَابَ طَابَعُهُ أكَادِيمِيٌّ، لَكِنَّ هَذَا لا يَتَعَارَضُ مَعَ إمْكَانِيَّةِ أنْ يَكُونَ سَبَبًا لِلإلْهَامِ الوُجُودِيّ والشَّبَعِ الرُوحِيّ. وهَذِهِ أمْنِيَةٌ أرْجُو أنْ يُشَارِكَنِي القُرَّاءُ إيَّاهَا.